

على بساط الريح

فوزي المعروف



على بساط الريح

على بساط الريح

تأليف
فوزي المعلوف



رقم إيداع ٢٠١٣/٩٨٤٠

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ٣٠٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إسلام الشيمي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2014 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	مَلِكُ فِي الْهَوَاءِ
٩	رُوحُ الشَّاعِرِ
١١	العَبْدُ
١٣	حُلْمٌ فَحَقِيقَةٌ
١٥	بَيْنَ الطُّيُورِ
١٧	رَمَزُ الْأَلْمِ
١٩	قَرَبُ النُّجُومِ
٢١	أَوْرَاقٌ مَتَنَاثِرَةٌ
٢٣	فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ
٢٥	حَفْنَةٌ مِنْ تَرَابٍ
٢٧	رُقِيٌّ كَاذِبٌ
٢٩	كَفَّارَةُ الشَّاعِرِ
٣١	عَلَى بَسَاطِ الرِّيحِ
٣٣	عَلَى الْأَرْضِ

مَلِكٌ فِي الْهَوَاءِ

فِي عُبَابٍ^١ الْفُضَاءِ فَوْقَ غَيُومِهِ
فَوْقَ نَسْرِهِ
وَنَجْمَتِهِ

* * *

حَيْثُ بَثَّ الْهَوَى بِثَغْرِ نَسِيمِهِ
كَلَّ عَطْرَهُ
وَرَقَّتْ تِئَانُهُ

* * *

مَوْطِنُ الشَّاعِرِ الْمَحَلَّقِ — مِنْذُ
الْبَدءِ — لَكِنْ بَرُوحِهِ لَا بِجَسَمِهِ

أَنْزَلْتُهُ فِيهِ عَرُوسُ قَوَافِيهِ
بَعِيدًا عَنِ الْوُجُودِ وَظَلَمِهِ

مَلِكٌ قَبَّةَ السَّمَاءِ لَهُ قَصْرٌ
وَقَلْبُ الْأَثِيرِ^٢ مَسْرُحُ حُكْمِهِ

^١ عُبَابُ الْفُضَاءِ: بِمَعْنَى بَعْدِهِ السَّحِيقِ وَعَمَقِهِ.

^٢ الْأَثِيرُ: بِمَعْنَى الْفَلَكَ الْأَعْلَى.

ضاربٌ في الفضاءِ موكبُهُ النورُ
وأتباعُهُ عرائسُ حُلِمِهِ

ملكُهُ ركنُهُ الهواءُ وما أقواه
ركنًا قامَ الخلودُ بدعيمِهِ

عرشُهُ سُدَّةٌ^٣ السحابِ عليها
نفضُ اللَّيْلِ كلُّ رهبةٍ رَسِمِهِ

تاجُهُ هالَةٌ يَنْضُدُ^٤ في فضَّتِها
الأفقُ بدرُهُ قَرَبَ نَجْمِهِ

والدجى طيلسانُهُ^٥ فاحِ كافورُ
دراريهِ^٦ فوقَ عنبرِ فَحْمِهِ

والثُرَيَّا في كَفِّهِ صولجانُ
دُرُّهُ لَمَّهُ الصِّباحُ بِكُؤْمِهِ

مَلِكُ طائرٍ بغيرِ جَناحينِ
بأمرِ الخيالِ يَقْضي وباسْمِهِ

يا جَناحَ الخيالِ أقوى جَناحِ
أنتَ يُلوي ظهْرُ الرياحِ لصدْمِهِ

ليت شعري ما الشاعرُ ابنُ لهذي
الأرضِ إلا بلحمِهِ وبعظْمِهِ

فإذا اختارَ هَجَرها برضاهُ
أفما جاءها مَقودًا برُغْمِهِ

هو منها وليس منها فما زالَ
غريبًا ما بينَ أبناءِ أُمَّه

^٣ السدة: المركز المميز في صدر المكان.

^٤ ينضد: يرتب ترتيبًا مقتنًا. يقصد أنه متوج بالقبة الفضية التي تم فيها ترتيب الكواكب.

^٥ الطيلسان: العباءة الفضفاضة الخضراء.

^٦ الدراري: النجوم؛ ومعنى البيت أنه يرتدي كسوة خضراء مضمخة بالطيب الذي يخفف وطء سواد الليل.

روح الشاعِر

أَيُّ رُوحٍ فِي بُرْدَةِ الشَّعْرَاءِ
رَفَعَتْهُمُ
عَلَى الْهَوَاءِ

* * *

أَبْعَدْتُهُمْ عَنِ عَالِمِ الْأَحْيَاءِ
قَرَّبْتَهُمْ
مِنَ السَّمَاءِ

* * *

أَنْتِ يَا رُوحَهُمْ مِنْ تَنْوُرِ ذَرَّاتٍ
أَضَاءَتْ فِي الْكُونِ فِي عَالَمِيهِ

تَصِلُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ بِنَهْرٍ
عَمَرَ الْحَسْنَ وَالْهَوَى ضَفَّتِيهِ

لَسْتَ مِنْ عَالِمِ التُّرَابِ وَإِنْ كُنْتَ
تَقَمَّصْتَ بِالتُّرَابِ عَلَيْهِ

أَنْتِ مِنْ عَالِمِ بَعِيدٍ عَنِ الْأَرْضِ
يَفِيضُ الْجَلَالَ عَنْ جَانِبِيهِ

نَسْمَةُ الشَّعْرِ أَنْتِ، فِيهِ تَبْتُئِينَ

أريحَ الشعورِ في بُردتِيهِ

هو فردوسكِ السحيقُ فلا الإثمُ
ولا الشرُّ يبلُغانِ إليهِ

وفتى الشعرِ يَسْتَنْزِلُ الوحيَ
بيانا يجثو الخلودُ لديهِ

حافرا باللظى على مِصحفِ
الأفقِ سَطورا تُنيرُ في دَفْتِيهِ

ما احمرارُ الأصيلِ غيرَ لهيبِ
شعٍّ من قلبهِ على مُقلتِيهِ

ورُكامُ السحابِ غيرَ دخانِ
نفتتُهُ الهمومُ من شفَتِيهِ

ما أنينُ الرياحِ غيرَ زفيرِ
نزعتهُ الرياحُ من رَتَّتِيهِ

ونُواحُ الطيورِ غيرَ عويلِ
نقلتُهُ الطيورُ عن أصغرِيهِ

ما ندى الفجرِ غيرَ لؤلؤِ دمعِ
رشفتهُ الأزهارُ من محجرِيهِ

وبريقُ النجومِ غيرَ شظايا
كأسِ حبِّ تحطمتُ في يديهِ

العبد

بينَ روحي، وبينَ جسمي الأسير
كَانَ بُعْدُ
نَقِصْتُ مُرَّةً!

* * *

أنا في الأرضِ، وهي فوق الأثيرِ
أنا عِبْدُ
وهي حُرَّة!

* * *

أنا عبدُ الحياةِ والموتِ، أمشي
مُكرهاً من مُهويها لقبورها!

عبدٌ ما ضَمَّتِ الشرائعُ من جورِ
يُحُطُّ القويُّ كلَّ سطورِه

بِيراعِ دَمِ الضعيفِ له حَبْرُ
ونوحِ المظلومِ صوتِ صريره!

أنا عبدُ القضاءِ، تملأُ نفسي
رهبَةً من بشيره ونذيره!

عبدٌ عصرٍ من التمدنِ، نلهو

ضَلَّةً عن لُبَابِهِ بقشورِهِ!

عبدُ مالي، أحظى به بعدَ جُهدٍ
فإِذا بي أنوءُ من ثِقَلِ نِيرِهِ!

عبدُ إسمي، ذَوِّبْتُ رُوحِي وجسْمِي
طَمَعًا في خلودِهِ ونشورِهِ!

عبدُ حبي، أنزلتَهُ في فؤادي
فكوى أضلعي بنارِ سعيرِهِ!

أنا في قَبْضَةِ العبوديةِ العَمياءِ
أعمى مسيِّرٌ بغيرِ ورِهِ!

إنَّ جسْمِي عبدٌ لعقلي، وعقلي
عبدٌ قلبي، والقلبُ عبدٌ شعورِهِ

وشعوري عبدٌ لحسي، وحسي
هو عبدُ الجمالِ، يحيا بنورِهِ!

كلُّ ما بي في الكونِ أعمى ومُنقادٌ
على رُغمِهِ لأعمى نَظيرِهِ

غيرَ رُوحِي فالشعرُ فكَّ جَنَاحيها
فطارتُ في الجوّ فوق نَسورِهِ

تَنَتَّحِي عالمَ الخلودِ، لتَحيا
حرَّةً، بين روضِهِ وغديرِهِ! ...

حُلمٌ فحقيقة

يا طيورَ السماءِ في الريحِ رُوحِي
بِي جَرِيًّا
على الجَآئِدِ¹

* * *

وبِجسْمِي طيري إلى حيثُ رُوحِي
فِيهِ تَحْيَا
بِلا جَسَدٍ!

* * *

هو حلمٌ مَجَنُّحٌ، رافقُ الشاعرِ
يَطوي الأجيالَ جيلًا فجيلًا

خَلَعَتْ يِقْظَةَ العُقُولِ جَنَاحِينَ
عَلَيْهِ يُحْيِرَانِ العُقُولَا

ما هُما من خرافةٍ وخيالٍ
بل هما من حَقِيقَةٍ وهَيُولَى

¹ الجلد: بمعنى السماء أو القبة الزرقاء.

صَعِدَ الطَّرْفَ فِي الأَثِيرِ تُجَدْنِي
قَاطِعًا فِي الأَثِيرِ مِيلًا فَمِيلًا

فَوْقَ طَيَّارَةٍ عَلَى صَهْوَاتِ الرِّيحِ
قَامَتْ تَرَوُّضُ المَسْتَحِيلَا

حَمَمَتْ تَضْرِبُ الرِّيحَ بِنَعْلَيْهَا
فَشَقَّتْ إِلَى السَّمَاءِ سَبِيلَا

غَرَقَتْ فِي الأَصِيلِ حِينًا، وَعَامَتْ
بَعْدَ حِينٍ تَعْلُو قَلِيلًا قَلِيلًا

وَعَلَيْهَا مِنَ الشَّرَارِ نَجُومٌ
عَقَدَتْ حَوْلَ رَأْسِهَا إِكْلِيلَا

وَأَشْهَدِي فِي الطُّيُورِ كَرًّا وَفَرًّا
وَاسْمَعِي فِي النُّجُومِ قَالًا وَقِيلَا!

خَبَبًا^٢ تَارَةً، وَطُورًا وَوَيْدًا
صُعْدًا مَرَّةً، وَأُخْرَى نُزُولًا

هُوَ ذَا طَائِرُ الجَمَادِ كَأَنَّ
الجَنِّ فِي صَدْرِهِ تَحْتُ خُيُولَا

ثُمَّ مَدَّتْ إِلَى النُّجُومِ جَنَاحَيْنِ
وَجَزَّتْ عَلَى السَّحَابِ ذِيُولَا

تَرْتَدِي مِنَ دُخَانِهَا بُرْدَةَ اللَّيْلِ
وَتُلْقِي عَنِ مَنكَبَيْهَا الأَصِيلَا

حَلَّقِي، حَلَّقِي، وَالْقِي عَلَى الأَفْلَاكِ
رُعبًا وَرَوْعَةً وَفُضُولَا

^٢ الخبب: طريقة عدو متسارع للخيل.

بين الطيور

قال نَسْرٌ لآخَرَ: «أَيُّ نَسْرٍ
هُوَ هَذَا؟
وَمَنْ رِفاقُهُ؟

* * *

إِنْ يَكُنْ قادمًا إلينا لخيرٍ
فـاـمـاـذا
عـلا زُعاقُهُ؟

* * *

يا له طائراً بصورة شيطان
يبثُّ اللهبُ بركان صدره

أهو منا؟ لا. لا. فلم أرَ جباراً
كهذا في الجو ما بين طيرهِ

إنَّ قلبي لموجس منه شراً،
رُح بنا نَجْستلي حقيقةً أمره»

«أدمي هذا — أجاب أخوه —
جاء يستعمر الأثير بأسره

كُرّة الأرض عن مطامعِهِ ضاقتُ

فحطت هنا مطامح فكره

نحن لم نهجر البسيطة، إلا
هرباً منه واجتنباً لشره

قم بنا نحشد الطيور وننقض
عليه، نجزيه من مثل غدره!^١

ودوت في الأثير صيحة حرب
ملأته بنسره وبسقره

هو حشد أثار ضرب خوافيه^١
غبار السحاب يعمي بدره

وإذا بي ما بين أجنحة سود
على الأفق حجت وجه بدره

طوقتني بكل فاغر شدي
صامد لي بمخالبه وظفيره!

«لا تخافي يا طير ما أنا إلا
شاعر تطرب الطيور لشعره

زارك اليوم متعباً ينشد الراحة
في هدأة السكون وسحره

فر عن أرضه فرازك عنها
من أذى أهلها وتنكيل دهره!

^١ الخوافي: رياش في جناح الطائر لا تظهر إلا إذا نشره، وذلك بخلاف القوادم التي تظل بادية للعيان عندما يطوي الطائر جناحه.

رمزُ الأُم

أُنظِرِيهِ يَمْشِي وَفِي خَطَّوَاتِهِ
نَوَاتُ
مَنْ الْأَلَمُ

* * *

عَاثَرَ الْجَدَّ،^١ جَدٌّ تَحْدُو بِذَاتِهِ
نَزَعَاتُ
إِلَى الْعَدَمِ

* * *

غمرته الأحلامُ بالشفقِ الوُرديِّ
يُغْرِيه بِالْمَنِ تَغْلِيلاً

وتلاشتُ حلماً فحلماً، إلى اللَّاشيءِ
تَمْشِي بِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا

هوَ فِي مَيْعَةِ الشَّبَابِ وَلَوْ حَدَّقَتِ
فِيهِ أَبْصَرَتْ شَيْخًا هَزِيلًا

^١ الجد: الحظ.

بِقَوَامِ كَأَنَّ قَاصِمَةَ الظَّهِرِ
أَنَاخَتْ عَلَيْهِ جِمْلًا ثَقِيلًا

فَهُوَ لَا يَعْرِفُ التَّبَسُّمَ إِلَّا
عِنْدَمَا يَسْتَعِيدُ حَلْمًا جَمِيلًا!

وَإِذَا الْيَأْسُ صَدَّ عَنْهُ قَلِيلًا
رَاحَ يَبْكِي عَلَى نَوَاهُ طَوِيلًا!

حَائِزُ الطَّرْفِ شَارِدُ الْفِكْرِ يَحْكِي
مُدْلَجًا فِي الظَّلَامِ ضَلَّ السَّبِيلَا

حَوَّلَ الْأَرْضَ عَالَمًا عُلوِيًّا
قَاطِرًا مِنْ وَحُولِهَا سَلْسَبِيلَا

هَآكِ عَقَدَ النُّجُومِ بَيْنَ يَدَيْهِ
صَارَ بَعْدَ انْفِرَاطِهِ إِكْلِيلَا!

وَجَبِينِ أَلْقَتْ عَلَيْهِ شُجُونُ
النَّفْسِ ظِلًّا مِنَ الْعُبُوسِ ظَلِيلَا

أَلْفَ الْيَأْسِ قَلْبُهُ، فَهُوَ وَالْيَأْسُ
يُحَاكِي بُتَيْنَةَ وَجَمِيلَا

وَإِذَا مَا النَّسِيمُ مَرَّ عَلَيْهِ
فَعَلِيلُ أَتَى يَعُودُ عَلِيلَا

تَاهَ فِي عَالِمِ الْخِيَالِ، فَضَاعَتْ
نَفْسُهُ وَهِيَ تَنْشُدُ الْمَسْتَحِيلَا

مَلَأَ الْعَالَمَ السَّمَاوِيِّ شِدْوًا
مُنْزَلًا مِنْهُ لِلوَرَى إِنْجِيلَا

قرب النُّجوم

وَأُنْبَرَتْ نَجْمَةٌ لِأُخْرَى تَقُولُ:
«مَنْ يَحُومُ؟
مِنْ الْبُعِيدِ؟»

* * *

أَهُوَ نَجْمٌ مُذْتَنَّبٌ أَمْ دَخِيلٌ
فِي النَّجُومِ؟
وَمَا يَرِيدُ؟

* * *

هُوَ يَنْقَضُ كَالصَّوَاعِقِ، مُنْطَادًا^١
إِلَيْنَا، وَالْهَوْلُ مِلءٌ وَشَاحَةٌ!

بَيْنَ بَرَقِ مِنَ الشَّرَارَاتِ وَمَاضٍ^٢
وَرَعْدٍ مُلْعَلِجٍ فِي صِيَاحِهِ!

أُنْظِرِيهِ يَدْنُو وَيَدْنُو، فَهَلْ غَلَّغَلَ

^١ منطاد إلينا: مهاجمنا من علٍ. مرتفعًا نحونا.

^٢ وماضٍ: لماع.

في جونا بقصد اكتساجه؟

يُنطِقُ الخوفُ كلَّ عَيٍّ وهذي
رِيشَةُ النُّجمِ عَجَلَتْ بِافْتِضاحِهِ!

وإذا نجمةٌ تجيبُ: «وقاكِ البُعدُ
أُختي، شرٌّ انطلاقِ جَناحِهِ!

هوَ تحتَ السَّديمِ^٣ أعجزُ عن أنْ
يبلِغَ النُّجمَ فوقَ متنِ رياحِهِ!

هوَ مخلوقُ عالمِ إِسمِهِ الأَرْضُ،
يُغَطِّي الشَّقَاءُ كلَّ بِطاحِهِ

عالمٌ ما شِعارُهُ غيرَ أنَّ الحَقَّ
للِقوَّةِ التي في سِلاحِهِ

لا تخافي منه، وخليه يعلو
فقريباً يهوي صريعَ كِفاحِهِ!

إيه يا نجمتي أَلَمْ تعرفيني
شاعراً يُنصتُ الدُّجى لِنواحِهِ؟

كَمْ ليالٍ في الروضِ أَحْيَيْتُها
أَبكي، وَأَشكو إِلَيْكَ بينَ أَقاحِهِ

ساکباً في الفؤادِ من طرفِكَ
السَّيَّالِ بالنورِ بِلُسمًا لجراحِهِ

وسوادُ الظلامِ في قلمي جَبْرٌ
أوشِّي بهِ بياضُ صباغِهِ

سامحَ اللهُ فيكَ قلباً نَسِيًّا
هو في الكونِ مثلُ قلبِ ملاحِهِ!

^٣ السديم: الضباب.

أوراق متناثرة

نَجْمَةٌ اللّيل، رَحْمَةٌ، فَضْلُوعِي
مِنْ شَجْوَنِي
تَتَمَزَّقُ

* * *

كَفِّفِي السَّيْلَ، إِنَّهُ فِي دَمُوعِي
مِنْ عَيْوَنِي
يَتَدَفَّقُ

* * *

وَأذْكَرُنِي بَيْنَ الْكَوَاكِبِ وَأَدْعِي
لِي، عَسَى يَهْتَدِي إِلَيَّ السَّلَامُ

عَشْتُ بَيْنَ الْمُنَى، يُرَاوِدُ نَفْسِي
حُلْبٌ مِنْ طَيُوفِهَا وَعَقَامٌ^١

أَقْتَفِيهَا وَفِي يَدَيَّ فَوَادِي
ثُمَّ أَلُوي وَفِي يَدَيَّ حُطَامٌ!

^١ الْعَقَام: أَوْ الْعُقَام، مَا لَا نَفْعَ بِهِ وَلَا نَاتِجَ عَنْهُ.

أَيُّ حِلْمٍ سَبَكْتُهُ زَهَبِيًّا
لَمْ تُذِبْهُ بِنَارِهَا الْأَيَّامُ

ورجاءٍ حَبَكْتُهُ مِنْ خِيُوطِ
النُّورِ، لَمْ يَنْسِدِلْ عَلَيْهِ ظِلَامٌ؟

أَيُّ عَوْدٍ حَمَلْتُهُ لِلتَّلَاهِي
لَمْ تُقَطِّعْ أَوْتَارَهُ الْأَلَامُ؟

وَنَشِيدٍ وَقَعْتُهُ لِلتَّأْسِي
لَمْ يُعَكِّرْهُ بِالْأَنْبِيَنِ الْغَرَامُ

أَيُّ كَأْسٍ قَرَّبْتُهَا مِنْ شِفَاهِي
لَمْ تَحُلْ حَنْظَلًا عَلَيْهَا الْمُدَامُ؟

وَفُؤَادٍ نَوَّبْتُ فِيهِ فُؤَادِي
لَمْ يَضِعْ عِنْدَهُ لِعَهْدِي ذِمَامٌ؟^٢

أَيُّ طَيْفٍ عَانَقْتُهُ فِي مَنَامِي
لَمْ يَكْلُلْهُ دَمْعُ عَيْنِي السَّجَامُ؟^٣

وَهِنَاءٍ زَرَعْتُهُ فِي ضُلُوعِي
لَمْ يَكُنْ مِنْهُ لِلذُّبُولِ طَعَامٌ؟

لَيْتَ شَعْرِي، وَاللَّيْلُ يَعْقُبُهُ
الْفَجْرُ، مَتَى يَعْقُبُ الْبِكَاءُ ابْتِسَامُ؟

ضَاعَ عَمْرِي سَعِيًّا وَرَاءَ رُسُومِ
خَطَّطْتُهَا فِي الشَّاطِيِ الْأَقْدَامُ

عَشْتُ أَبْنِي عَلَى الرَّمَالِ وَهَلْ يَنْبُتُ
رَكْنٌ، لَهُ الرَّمَالُ دَعَامُ؟

^٢ الذمام: الحرمة.

^٣ الدمع السجام: السَّيَال.

في عالم الأرواح

وسرى في عوالم الأرواح
من قـدومي
شبهه همس

* * *

إذ تنسمن من خفوق جناحي
في السديم
ريـح إنـس

* * *

فتألبن حول جسمي جماعات
ملأن الجو الفسيح دويًا

وإذا بي أعي هنالك أشياء
ولما حدقت لم أر شيئًا

فكأنني في الحلم نشوان صاح
تتوالى رؤى الخيال عليًا

ما لعيني والنور شع بقربي
لم تميز إلا فراغًا خليًا؟

طوقنتني الأشباح، ها هي حامت

ثُمَّ أَهْوَتْ تَرَفُّ بَيْنَ يَدَيَّ

ولها كاخْتِلَاجِ أَجْنَحَةِ النَّحْلِ
أَزِيزُ يَطِنٌ فِي أُذُنَيَّ

إِنِّهَا كَاللُّهَاتِ نَفْحًا وَلَفْحًا
وَكَمَوْجِ الشُّعَاعِ نَشْرًا وَطَيًّا

غَمَرْتَنِي بِالْغَيْمِ يَنْضَحُ طَلًّا
وَاحْتَوْتَنِي بِالرِّيحِ تَنْشُرُ رِيًّا

هِيَ كَالْوَهْمِ اللَّبْسْتُهُ خَيْوُطُ
الْفِكْرِ ثَوْبًا مِّنَ الْخِيَالِ جَلِيًّا

لَمْ يَزَلْ صَوْتُهَا إِلَى الْيَوْمِ فِي
أُذُنِي، وَأَنْفَاسُهَا عَلَى شَفَتَيَّ

إِنَّمَا عِنْدَ وَصْفِهَا خَانَنِي الْفِكْرُ
وَأَلْقَى عَلَيَّ بَيَانِي عِيًّا^١

يَا لَهُ عَالَمًا هُنَاكَ بَعِيدًا
قَرَبْتَهُ عَرُوسُ شَعْرِي إِلَيَّا

فَتَنَبَّهْتُ مِنْ ذُهُولِي وَأَصْغَيْتُ
لِعَلِّي أَجْلُو هُنَاكَ خَفِيًّا

فَسَمِعْتُ الَّذِي تُوشِوشُهُ الْأَرْوَاحُ
عَنِّي، وَمَا تُفَكِّرُ فِيَّ

^١ العي: العجز والكلال.

حفنة من تراب

قال روحٌ: حَذَارِ يَا أَتْرَابِي
أَبْـ____دُوهُ
عَنِ السَّمَاءِ

* * *

هُوَ فِي الْأَرْضِ حَفْنَةٌ مِنْ تُرَابٍ
فَأَبْـ____وَهُ
طَيِّنٌ وَمَاءٌ؟

* * *

هُوَ مِنْ نَفْحَةٍ كَفْتُ لِتَجَلِّيهِ!
وَتَكْفِي بِذَاتِهَا لاحتِجَابِهِ

وكَمَا كَانَ أَصْلُهُ مِنْ تُرَابٍ
الْأَرْضِ، يَغْدُو مَصِيرُهُ لِتُرَابِهِ

لِيَتَّهَ عَادَ لِلثَّرَى مِثْلَمَا جَاءَ
نَقِيًّا بِنَفْسِهِ وَإِهَابِهِ^١

^١ الإمام: الجلد الظاهر، ويقصد به الجسد.

جاءَ والحسنُ والرَّوَاءُ رَفِيقَاهُ
وثوبُ العفافِ كلُّ ثيابِه

هُوَ يَحْيَا لِلشَّرِّ، فالشَّرُّ يَحْيَا
أَبَدًا، حيثَ حلَّ شَوْمُ رِكَابِه

حينَ يَمْتَصُّهُ الثرى فيُعَدِّي
منه، ما في الأديم من أعشابِه^٢

ليس إلاَّ عصيرَ أجسامِ مَنْ
ماتوا فزانوا الثرى بأجملِ ما بِهِ!

بَحَّرْتَهُ نُكَاءً^٥ فاسترجعته
صافيًا للأتيرِ عينِ سَحَابِه

تلكَ حالُ الإنسانِ حيًّا وميتًا
ربَّ خيرٍ، أَلشَّرُّ من أسبابِه!

وتولَّى يقوده الإثمُ والداءُ
إلى القبرِ في ربيعِ شبَابِه

وهو لا يَنفَعُ البسيطةَ إلاَّ،
حين يَثوي في القبرِ بينِ رِحَابِه

يا لَعَمْرِي^٣ كلُّ النباتِ الذي في
الكونِ من زهرِه إلى لَبْلَابِه^٤

كندى الفجرِ سالَ فاشتقَّه التُّرْبُ
فحالتُ وحلاً لآلي حَبَابِه

فهو بين السحابِ ثانيَّةً قطرُ
نقيُّ يحيي الثرى بانسكابِه!

^٢ الأديم: التراب.

^٣ يا لعمري: أقسم بديني.

^٤ اللبلاب: نوع من العشب الذي ينبت في الحقول.

^٥ نُكَاء: من أسماء الشمس.

رُقِي كاذب

قَالَ مَا قَالَهُ، وَفَرَّ لِفَوْرِهِ
يَتَوَقَّئِي
تَقَرُّبِي

* * *

فَإِذَا آخِرُ يَقُولُ بِدَوْرِهِ:
قُلْتُ حَقًّا
بِمَمَّذَهَبِي

* * *

أَنَا عَنْ وَصْفِ شَرِّهِ عَاجِزٌ
وَاللَّهِ، مَهْمَا أَفْضْتُ فِي تَبْيَانِهِ

مَا دَعَوُهُ الْإِنْسَانَ مِنْ أَنْسِهِ
لَكِنْ دَعَوُهُ الْإِنْسَانَ مِنْ نِسْيَانِهِ

نَسِيَ الْخَيْرَ حِينَ أَوْغَلَ فِي الشَّرِّ
فَدَاسَ الضَّمِيرَ فِي عِصْيَانِهِ

مَلَأَتْ قَلْبَهُ الْأَفَاعِي فَلَا يُسْمَعُ
غَيْرَ الْفَحِيحِ فِي خَفَقَانِهِ

حَسَدٌ نَاهِشٌ بِقِيَّةٍ مَا فِي

نفسه من إبائه وحنانه

طَمَعُ يَقْذِفُ اللَّهيبَ حوَالِيهِ
فِيُعْمِي عيونَهُ بدُخَانِهِ

وَأَنَانِيَّةٌ تُحِلُّ لَهُ القَتْلَ
لِتَحْقِيقِ غَايَةٍ فِي كِيَانِهِ

أُعْطِيَ النُّطْقَ والحِجَى مِيزَةً كِي
يَرْتَقِي فِي الوجودِ عن حيوَانِهِ

فَإِذَا بِالْأَدْنَى وَلِيدٌ حِجَاهُ
وَإِذَا بِالشَّرورِ بِنْتُ لِسَانِهِ

عَاثَ فِي أَرْضِهِ فَحَالَتْ جَحِيمًا
فَأَتَى الخُلْدَ عَائِثًا فِي جِنَانِهِ

زَجَّ بِالْعِلْمِ فِي الفِضَاءِ طَيورًا
مِنَ جَمَادٍ، يَدِيرُهَا بِنَانِهِ

مَا بَنَاهَا إِلَّا لِهَدْمِ المِبانِي
وَلِسْفِكِ الدِّمَاءِ فِي طَيْرَانِهِ

لِيَتَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَكِيًّا فَكَلُّ
الْوَيْلِ فِي الكونِ مِنْ نُهَى إِنْسَانِهِ!

لِيَتَّ عُمرَانَهُ تَأَخَّرَ أَجْيَالًا
فَكَلُّ الخَرَابِ فِي عُمرَانِهِ!

كفارة الشاعر

وَتَجَلَّتْ رُوحٌ عَلَى الْقُرْبِ مِنِّي
رَمَقَتْ نِيَّيَ
بِلا غَضَبٍ

* * *

خَلَّتْهَا أَقْبَلْتُ تَدافعُ عَنِّي
صَحَّ ظَنِّي
ولا عَجَبًا!

* * *

هي رُوحِي جَاءَتْ تُخَلِّصُنِي مِنْ
غَضَبِ الْعَالَمِ الْفَخُورِ بِشَمْسِهِ

طَوَّقْتَنِي بِكَلِّ عَطْفٍ وَصَاحَتْ:
أَخَوَاتِي رِفْقًا بِهِ وَبِبُؤْسِهِ

هو بِالرَّغْمِ مِنْهُ فِي عَالَمِ الْأَرْضِ
وَإِنْ كَانَ تَزِيًّا بِزِيِّ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ!

سَكَنَ الْأَرْضَ مُرْغَمًا وَهُوَ لَوْ
خَيْرٌ، مَا اخْتَارَ غَيْرَ تَرْبَةٍ رَمْسَهُ

إِنَّ بَيْنَ السَّرِيرِ وَالنَّعِشِ خُطُواتٍ

دَعَوْهَا الوجودَ وَهِيَ بِعَكْسِهِ

عمرُهُ لَيْسَ غَيْرَ قَطْرَةٍ حَبْرٍ
وَمَمَّضَتْ مِنْ يَرَاعِهِ فَوْقَ طُرْسِهِ

يَتَلَاشَى كَالشَّمْعِ، كَيْ يُعْطِيَ النُّورَ،
عَلَى هَيْكَلِ الخُلُودِ وَقُدْسِهِ

عَدُّهُ مِثْلُ يَوْمِهِ تَلْعَبُ الأَقْدَارُ
فِيهِ، وَيَوْمُهُ مِثْلُ أَمْسِهِ

غَسَلَتْ عَيْنُهُ، بِمَا سَكَبَتْهُ
مِنْ نَدَى الدَّمْعِ، كُلَّ أَدْرَانِ نَفْسِهِ

وَالتَّظَى قَلْبُهُ فَطَهَّرَ بِالآلَامِ
مَا دَنَسَتْهُ شَهْوَةٌ جِسُّهُ

جَاءَ مِنْ أَرْضِهِ يُفْتِّشُ عَنِّي
يَائِسًا فَاخْشَعُوا احْتِرَامًا لِيَأْسِهِ

وَدَعُوهُ مَعِي فَنَفِي قُبُلَاتِي
شَهِدُ حُبِّ يُنْسِيهِ عَلَقَمَ كَأْسِهِ!»

على بساط الرّيح

وَوَقَفْنَا مَعًا بِقَلْبِ السَّمَاءِ
نَتَمَمُ أَلَى
مِنَ الْقُبُلِ

* * *

مَا أَحَبَّ اللِّقَاءَ بَعْدَ التَّنَائِي
فَهُوَ أَحَلَى
مِنَ الْأَمَلِ

* * *

مَوْقِفٌ لَا يُمْتَلُ الْفِكْرُ، أَبْهَى
مِنْهُ، فِي نَوْمِهِ وَفِي يَقْظَاتِهِ

إِذْ جَلَسْنَا عَلَى بَسَاطِ مِنَ السُّحْبِ،
يُفَوْحُ الْغَرَامُ مِنْ جَنْبَاتِهِ

تَحْتَ جَوْ كَأَنَّهُ سِنَّةُ النَّوْمِ،^١
تَرْفُ الْأَحْلَامُ فِي طَبَقَاتِهِ

^١ سنة النوم: النعاس.

والنسيمُ العليلُ فوقَ لظى أنفاسنا،
ساكبُ ندى نَفَثَاتِهِ

وعَذاري الأرواحِ تُنْشِدُ مِنْ بُعْدٍ
بصوتٍ، أَلَّهُ فِي نَبْرَاتِهِ!

رافَقَتْهُ قِيثَارَةُ الحُبِّ فأنْسَلَّ
أنيبُ الأوتارِ في نَغَمَاتِهِ

فانتقلنا إلى فضاءٍ من البحرانِ
هاروت^٢ فيه بعضُ حُمَاتِهِ

وملأنا مِنْ لَفْحِ^٣ قُبْلَاتِنَا الجوّ،
فَعَادَتْ بالنَّفْحِ مِنْ قُبْلَاتِهِ

ثمَّ قَمْنَا نُجَيْلُ فِي الكونِ، أَبْصَارًا
أَرْتْنَا مِنْهُ حَقِيقَةً ذَاتَهُ

نَنْظُرُ النَّاسَ مِنْ عَلٍ مِثْلَمَا تَنْظُرُ
نَمْلًا يَمْشِي إِلَى غَزَوَاتِهِ

ونرى الطودَ في السهولِ، كما تُبْصِرُ
فوقَ الترابِ ظلَّ حَصَاتِهِ

ونرى الموجَ في الخضمِّ، كما تَلْمَحُ
جَوًّا، والسُّحْبُ فِي مِرَاتِهِ!

^٢ هاروت وماروت: ملاكان ساحران يفتنان البشر.

^٣ اللفح: صفة الريح الحارة، والنفح صفة الريح الباردة.

على الأرض

تلك بضْعٌ مِنَ الدَّقَائِقِ مَرَّتْ
فِي خِضْمِ
مِنَ الْخَلْوِ

* * *

هيَ مِثْلُ الْأَحْلَامِ زَارَتْ وَفَرَّتْ
أَيُّ حُـ
تُرى يَعوْدُ؟

* * *

وإذا بي أهوي إلى الأرض وحدي
بعدَ حرِّيَّتِي أُكَابِدُ رِقًّا

تركّنتني روعي وعادتُ لمأواها
تشقُّ الشعاعَ في الجوِّ شَقًّا

فرايتُ اليراعَ قُرْبِي يُؤاسيني،
ويَبْكِي لِمَا لَقِيتُ وَأَلْقَى!

يا يراعي ما زلتَ خيرَ صديقٍ
لي — منذَ امْتَرَجْتَ بي — وَسَتَبَقِي

باسمًا من سعادتي حينَ أهنأ

باكيًا من تعاستي حين أشقى!

كَمْ حَبِيبٍ سَلَا وَعَهْدُكَ بَاقٍ
فَهُوَ أَوْفَى مِنْ كُلِّ عَهْدٍ وَأَبْقَى

أَنْتَ رَغَمَ الْجُحُودِ خَلٌّ وَفِيٍّ
حَوْلَ الْمَسْتَحِيلِ غَوْلًا وَعَنْقَا

رُبَّ دَمْعٍ كَفَكَفْتَهُ مِنْ عُيُونِي
سَالَ حَبْرًا فِي الطَّرْسِ يَخْفُقُ خُفْقًا

وَعَذَابٍ نَزَعْتَهُ مِنْ ضُلُوعِي
أَجَّ بَيْنَ السُّطُورِ يُحْرِقُ حَرْقًا

وَزَفِيرٍ حَوَّلْتَهُ لَصَرِيرٍ
مَلَأَ الْخَافِقَيْنِ غَرْبًا وَشَرْقًا

يَا يِرَاعِي رَافَقْتِ كُلَّ حَيَاتِي
فَارِوْ عَنِّي مَا كَانَ حَقًّا وَصِدْقًا

أَنَا لَمْ أَلْقَ مِثْلَ صَمْتِكَ صَمْتًا
حَوَّلْتَهُ عَرَائِسُ الشِّعْرِ نُطْقًا! ...

^١ يقول المثل العربي القديم: «المستحيلات ثلاثة: الغول والعنقاء والخل الوفي». ومعنى البيت أن المستحيلات غدت اثنين بدلًا من ثلاثة بثبوت كون اليراع هو الخل الوفي الموجود في نظر الشاعر.